

الحلقة الأولى

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا اليوم أن نبدأ سلسلة جديدة بعنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، وأكدت على سلطانه الإلهي.

صديقي المستمع، من المعروف أن الطعام ضروري لحياة الإنسان ونموه. ومن غير الطبيعي أن يستطيع أي منا أن يستمر في العيش بدون طعام ولمدة محدودة من الزمن. هذه هي سنة الله للجنس البشري منذ أن خلقه. لهذا قال الله للإنسان عندما خلقه: «إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ كُلَّ بَقْلٍ يُبْزَرُ بِزْرًا عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ، وَكُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرٌ شَجَرٍ يُبْزَرُ بِزْرًا لَكُمْ يَكُونُ طَعَامًا» (تكوين ١: ٢٩). ثم لاحقاً أعطى الله السلطان للإنسان لكي يأكل من لحوم الحيوانات، فقال له: «كُلُّ دَابَّةٍ حَيَّةٍ تَكُونُ لَكُمْ طَعَامًا. كَالْعُشْبِ الْأَخْضَرِ دَفَعْتُ إِلَيْكُمْ الْجَمِيعَ» (تكوين ٩: ٣).

في بدء خدمته صام المخلص المسيح أربعين يوماً في البرية، فأتى الشيطان ليجربه، وتحداه قائلاً: «إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هَذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا». فأجابه المخلص المسيح قائلاً: «مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ» (بشارة متى ٤: ٤). لنلاحظ أن المسيح أعاد الشيطان لما هو مدون في العهد القديم من الكتاب المقدس إذ قال له: مكتوب. فما هي المناسبة التي دوت فيها هذه الآية؟ عندما أخرج الله قديماً شعب إسرائيل من مصر على يد كليمة النبي موسى، كان عليهم أن يمرّوا في برية سيناء، وكان عددهم ست مئة ألف من الرجال عدا النساء والأولاد.

وكان على الله أن يجهز لهذا العدد الغفير من الناس طعاماً في وسط البرية. لكن بني إسرائيل تدمروا على النبي موسى وأخيه هرون قائلين: «لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ فُؤُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبَعِ. فَإِنَّا كُنَّا أَمْرًا إِلَى هَذَا الْفَقْرِ لِكَيْ تُمِيتَنَا كُلَّ هَذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ». فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هَا أَنَا أُمْطِرُ لَكُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ. فَيَخْرُجُ الشَّعْبُ وَيَلْتَقِطُونَ حَاجَةَ الْيَوْمِ بِيَوْمِهَا. لِكَيْ أَمْتَحِنَهُمْ، أَيْسَلُكُونَ فِي نَامُوسِي أَمْ لَا» (خروج ١٦: ٣-٤). هذا الخبز الذي عُرف باسم المن.

إذن لقد كان هدف الله من تأمينه الطعام لبني إسرائيل أن يمتحنهم إذا كانوا يريدون أن يطيعوا وصاياه. وليس هذا فحسب بل أراد أن يؤكد لهم حقيقة هامة أخرى، وهي كما ذكر لنا سفر التثنية بعدئذٍ: «فَأَذَلَّكَ وَأَجَاعَكَ وَأَطْعَمَكَ الْمَنَّ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُهُ وَلَا عَرَفَهُ آبَاؤُكَ، لَكِي يَعْلَمَكَ أَنَّهُ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الرَّبِّ يَحْيَا الْإِنْسَانُ» (تثنية ٨: ٣).

نعم هذه هي الحقيقة التي أراد الله إعلانها «أَنَّهُ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الرَّبِّ يَحْيَا الْإِنْسَانُ». وقد أعاد المخلص المسيح تأكيدها عندما أتى الشيطان ليجرِّبه في البرية بعدما صام أربعين يوماً. فقال له: «لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ». أجل ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان. صحيح أن الخبز ضروري للبقاء والعيش، لكنه لوحده لا يكفي، إذ تصبح حياتنا مجرد حياة مادية صرفة، وبلا معنى. بينما نحن بحاجة إلى كلمة الله لكي نحيا روحياً. ولهذا أجاب المخلص المسيح الشيطان بهذه الآية عندما أتى لكي يجرِّبه.

صديقي المستمع، إن الإنسان مكوّن من جسد ونفس وروح. وكما أننا يجب أن نغذي أجسادنا بالطعام، علينا أن نغذي أيضاً أرواحنا بالطعام الروحي الذي هو كلمة الله. هذه الكلمة التي أعلنت وأوحى بها في الكتاب المقدس. لكن هل كلمة الله تحيي حقاً الإنسان؟ وكيف يمكن اعتبارها الغذاء الروحي لنا؟ أجابنا كاتب سفر العبرانيين عن هذه التساؤلات بهذا الوصف البليغ عن كلمة الله فقال:

«لَأَنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاحِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ» (الرسالة إلى العبرانيين ٤: ١٢). إذن إن كلمة الله كما جاءت في الكتاب المقدس لها قوة عظمى في حياة الإنسان. إذ هي حية وفعالة أي تحيي روح الإنسان. وهي أمضى من كل سيف ذي حدّين، لأنها تخرق أعماق الإنسان فتبدّل نفسه وأفكاره وقلبه، وتكشف له حقيقة نفسه ونواياها. لهذا يصبح من الضروري ان نغذي أرواحنا بكلمة الله دائماً.

صديقي المستمع، لقد أكّدت اختبارات الملايين من البشر على مدى العصور على صحّة هذه المقولة: أن لكلمة الله كما جاءت في الكتاب المقدس أثرها الفعال الكبير على حياة الإنسان. لقد غيرت كلمة الله حياة الملايين من البشر عندما بدأوا بقراءتها. ونقلتهم من الظلمة إلى النور وجعلتهم بالنتيجة من أولاد الله. وليس هذا فحسب بل صارت كلمة الله هي طعامهم اليومي لإشباع

أرواحهم ونفوسهم وإروائهم، منها يعرفون مشيئة الله لحياتهم. فهي كالبوصلة التي تهديهم الطريق في وسط عالم مظلم مليء بالشر والفساد.

وها هو النبي إرميا يكتب قائلاً: « أَلَيْسَتْ هَكَذَا كَلِمَتِي كَنَارٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَكَمِطْرَقَةٍ تُحَطَّمُ الصَّخْرُ؟ » (إرميا ٢٣: ٢٩). أما النبي إشعياء فكتب قائلاً: «لَأَنَّهُ كَمَا يَنْزِلُ الْمَطَرُ وَالتَّلْجُ مِنَ السَّمَاءِ وَلَا يَرْجِعَانِ إِلَى هُنَاكَ، بَلْ يُرْوِيانِ الْأَرْضَ وَيَجْعَلَانِهَا تَلْدًا وَتَنْبِتُ وَتُعْطِي زَرْعًا لِلزَّرَّارِعِ وَخُبْزًا لِلآكِلِ، هَكَذَا تَكُونُ كَلِمَتِي الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ فَمِي. لَا تَرْجِعْ إِلَيَّ فَارِغَةً، بَلْ تَعْمَلْ مَا سُرِّرْتُ بِهِ وَتَنْجِحْ فِي مَا أُرْسَلْتُهَا لَهُ». (إشعياء ٥٥: ١٠-١١). وكتب الرسول بولس قائلاً: «كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحَى بِهِ مِنَ اللَّهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانٌ كَامِلًا، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ» (٢ تيموثاوس ٣: ١٦-١٧). إذن إن كلمة الله نافعة لتعليم الإنسان وتقويمه وتأديبه، لكي يكون إنساناً كاملاً متأهباً لكل عمل صالح.

ألا تود مستمعي أن تقرأ كلمة الله كما جاءت في الكتاب المقدس؟ أولاً ترغب أن تكون طعامك اليومي الروحي؟ إن طعام الجسد لوحده لا يكفي لحياتك، لكن عليك أن تتغذى يومياً بكلمة الله أيضاً. لأنه: «لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ».